



Al bay d h a
Al bay d h a . s a

سلسلة
مقالات
نقدية

البحث عن السكون في عالم صاخب

للدكتورة: مديحة بنت إبراهيم السدحان
أستاذة العقيدة والمذاهب المعاصرة المشارك.



احذر



احذر



احذر



احذر



مقال نقديّ لكتاب:



حديث السكون

الكاتب:

إيكلهارت تول
Eckhart Tolle

مُلحد رُوحانيّ متأثر بالبوذيّة، وهو أحد أبرز رموز الفكر الباطنيّ الإلهاديّ الحديث.



البحث عن السكون في عالم صاخب

في عالم صاخب، عانى فيه الكثير من صعوبات الحياة وتكاليفها ومشاكلها، ففقدوا السكينة والطمأنينة فتاقت نفوسهم للسكون والهدوء فباتوا يبحثون عن الطريق إليها، فإن وجدوا كتابًا يحمل عنوان: (حديث السكون) تشوقوا لقراءته ومعرفة ما فيه، فإن كان مؤلفه غريبًا زادت الرغبة فيه لظنهم أن الغرب لا يصدر عنه إلا العلم الحقيقي.

- فهل وجود هذه الكتب الجميلة في طباعتها في المكتبات الشهيرة كافٍ لتحقيق ما يريدون؟

- وهل تقدم مجتمع المؤلف وعلمانيته كافٍ للقول بأن كتابه يقدم علمًا حقيقيًا لا علاقة له بالديانات الباطلة؟

الإجابة بالطبع: لا.

فنحن في زمان تكلم فيه كل أحد، فعلى سبيل المثال كتاب (حديث السكون) يباع في أكبر المكتبات، ومؤلفه: (إكهارت تول) من ألمانيا، وهو فيلسوف باطني ملحد، من أبرز المعلمين الروحانيين في الغرب، عانى من أمراض نفسية حتى حصلت له (يقظة) تعتبر نقطة انطلاقه الروحاني، تأثر بالديانات الشرقية بشكل كبير، وعنوان أحد كتبه (أرض جديدة) الفرعي هو: (التيقظ للغاية من حياتك)، ويريد به إدراك الحقيقة الإلهية للنفس البشرية.

تقوم فلسفته على العقائد الباطنية المعروفة، وهي الأساس الذي بنى عليه مؤلفاته التي هي صورة محدثة لعقيدة وحدة الوجود، فالإله عنده هو الوجود المطلق، والكينونة، وعقل الإله هو الوعي، والوعي هو الإنسان.

والقراءة الناقدة للكتاب تجد أن المقصود بـ (السكون) في الكتاب ليس كما يظهر للقارئ البسيط فموضوع الكتاب كما يقول مؤلفه: تقديم معتقدات



جديدة تتصل بالروح وكيفية التعامل معها والترقي بها، وهي تعليمات جذورها من التعاليم الروحية الموجودة في "سوترا" الهند القديمة، أي النصوص الدينية المقدسة في الهندوسية والبوذية وغيرها من الديانات الشرقية.

المقصود بالسكون في الكتاب:

"السكون" في الكتاب لا يقصد به الصمت أو غياب الضجة، وإنما يعرفه المؤلف بأنه: (تقبل كل ما يحدث في الحياة من خير أو شر، محبوب أو مكروه، وعدم مقاومته أو محاولة تغييره)^١. ومرة يقول: (السكون: هو الوعي الذي ولد منه كل شيء، وهو جوهر جميع المجرات والأشجار وكل الكائنات، هو لا شيء، وليس له شكل، وهو ليس من هذا العالم)^٢، و (هو: الوعي الذي يتم فيه إدراك الكلمات)^٣.

ثم يأمر بالاستماع إلى الصمت حتى توقظ "السكون" الموجود داخلك، وهو يرى أن (الإنسان هو الوعي المتنكر في هيئة شخص)^٤.

ولهذا فكتاب حديث السكون يضم جملة من المذالقات العقدية الخطيرة منها:

أولاً: عقيدة وحدة الوجود، والاعتقاد بأن الإله داخل البشر.

^١ ينظر: حديث السكون لإيكلهارت تول ص ١٩، ٨٦، ١٣٦.

^٢ ينظر: المرجع السابق ص ٢١.

^٣ ينظر: المرجع السابق ص ١٦.

^٤ ينظر: المرجع السابق ص ١٦.



فالقضية الأولى التي يركز عليها الكتاب:

الدعوة لأن يعرف الإنسان (من يكون حقًا)، (فأكثر الأمور أهمية هو معرفة جوهر من يكون؟ فلن يجد السلام إلا من خلال إدراك ماهيته عند أعماق مستوى)^١، ثم يجيب عن هذا السؤال بقوله: إن الإنسان هو " ذلك الوعي-أي الإله- المتنكر في هيئة شخص"^٢، (ومن لا يعرف ماهيته سيخلق نفسًا بديلة عن وجوده المقدس)^٣.

والمؤلف يحذر من مخالفة ما ذكره في كتابه: (فالجنس البشري إن لم يتقيد بتعليماته سيدمر نفسه)^٤.

ويصرح المؤلف في مواضع كثيرة من كتابه بأن الإنسان في حقيقته إله، فعلى سبيل المثال يقول: "إذا حدث الموت تلاشي أحد أشكال الحياة، سيشرق الإله اللا شكلي غير المتجلي بسبب تلاشي الشكل، وهذا هو السبب في أن نور الإله يأتي إلى من يتقبل الموت ويتأمل فيه"^٥، (فالموت هو تلاشي الشكل فقط)^٦، كما يقول: "في داخلك شيء غير قابل للانحلال أو الموت"^٧.

وعقيدة وحدة الوجود من أقبح الكفر، ولهذا انعقد إجماع العلماء على كفر من قال بها.

^١ ينظر: حديث السكون لإيكهارت تول ص ٦٤.

^٢ المرجع السابق ص ١٦.

^٣ ينظر: المرجع السابق ص ٦٥.

^٤ ينظر: المرجع السابق ص ١٢.

^٥ المرجع السابق ص ١٢١.

^٦ ينظر: المرجع السابق ص ١٢٤.

^٧ المرجع السابق ص ١٢٢.



سبب تأليف الكتاب:

يقول المؤلف: (إن الغاية من تأليف الكتاب أن يخبرك من تكون بالفعل ما حقيقتك؟ ويزيل عنك القناعات السابقة التي تفصلك عن حقيقة من تكون؟ فأحد أشكال العنف مفهوم معظم البشرية الخاطيء عن الجنس البشري)^١.

(وذلك يكون بأن يكشف لك بعد عمقك الداخلي الذي هو السلام، هذا الكتاب يعيد الإنسان إلى السكون الذي نشأ منه، هذا السكون هو السلام الداخلي، فالسلام والسكون هما جوهر كينونة البشر)^٢.

ويذكر المؤلف: (أن من يمارس التأمل وينظر للشجرة ليس هو الإنسان، الذي ينظر هو الوعي ينظر إلى إبداعاته، ففي الإنجيل: "الإله خلق العالم ورأى أنه كان جيداً"، وهذا ما تراه عندما تنظر من خلال السكون دون أن تفكر)^٣.

ويقول: (يوجد داخل كل إنسان وعي أعمق بكثير من الفكر إنه الجوهر الأهم لمن تكون؟ نسميه: الحضور، أو الوعي المطلق، إنه السيد المسيح أو طبيعة بوذا)^٤. ثم يقدم وعداً زائفاً لمن يدرك هذه الحقيقة بأنه سيتحرر من المعاناة، (لأن الحب والبهجة لا تأتي إلا من الوعي المطلق)^٥.

^١ ينظر: حديث السكون لإيكلهارت تول ص ٣١.

^٢ ينظر: المرجع السابق ص ١٠-١٢.

^٣ ينظر: المرجع السابق ص ٢١.

^٤ ينظر: المرجع السابق ص ٢٦.

^٥ ينظر: المرجع السابق.



ويقول: (من لا يدرك هذه الحقيقة فهو يمثل (الأنما الزائفة) التي تحدث عنها كثيراً في كتابه وهي (أنا) تشعر بالذنب، لا تتقبل كل ما يحدث في الكون...الخ)^١.

ثانياً: الخلل في مصادر التلقي.

مصادر الكتاب ومراجعته:

يصرح المؤلف بأن كتابه (إحياء لأقدم التعاليم الروحية المسجلة في سوترا الهند القديمة بما في ذلك كلمات بوذا)^٢، ويصف تعليماته بأنها (مقدسة صالحة لكل الأديان)^٣.

مصدر صلاح الروح عند المؤلف:

طريقة إصلاح الروح في هذا الكتاب تابعة من داخل الإنسان فهو لا يحتاج لموجه خارجي، فعمله في الكتاب هو مجرد الإرشاد، ولهذا **يقول:** "جوهر هذا الكتاب ليس موجودا في الكلمات، بل في داخلك"^٤.

وسبب وجود العقائد الدينية أو العلمية أو السياسية عند المؤلف: (الاعتقاد الخاطيء بأن التفكير -أي العقل- يستطيع معرفة الحقيقة، وما سبب معاناة البشرية -بزعمه- إلا هذه العقائد، ولهذا يجب أن تنهار عاجلاً أو آجلاً، وعلى الإنسان ألا يصدق كل شيء يفكر فيه، ولن يوقف تفكير البشر إلا (اليقظة

^١ ينظر: حديث السكون لإيكلهارت تول ص . ٤٧-٤٨.

^٢ ينظر: المرجع السابق ص . ١١-١٢.

^٣ ينظر: المرجع السابق ص . ١١-١٢.

^٤ المرجع السابق ص . ١٠.



البحث عن السكون في عالم صاخب

الروحية) التي يدعو إليها في كتابه)^١، (فالإسهاب في العلم والتقنية قد أصبح مدمراً)^٢، و (على الإنسان أن يكون مرتاحاً مع حالة: عدم المعرفة)^٣.

بعد هذا الاستعراض لكتاب (حديث السكون) يتبين لكل منصف عاقل أنه لا يفيد الباحث عن الطمأنينة والسعادة، بل هو كتاب ألف لترويج عقائد إلحادية كفرية، فالكتاب في جملته مملوء بالمخالفات العقديّة، والمؤمن الباحث عن سكون نفسه وطمأنينتها يوقن أن خالق هذه الروح هو الأعلّم بطرق صلاحها وسبل سكونها وراحتها، فقد قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] وقال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

ورسولنا محمد ﷺ يقول: [يا بلال، أقم الصلاة، أرخنا بها]، فالمصلي يقف أمام ربه يجد في الصلاة راحته، فقلبه قد امتلأ محبة لله وتعظيماً وإجلالاً، فهو يحب مناجاته، ويجد فيها راحة نفسه، وقوة قلبه، وانسراح صدره، وتفريج هممه، وكشف غمه.

أما السكون الذي يدعو إليه هذا الكتاب واغتر به بعض الشباب، وتأثر به بعض مدربي تطوير الذات -هدانا الله وإياهم- فما هو إلا ضلال وانحراف عن الصراط المستقيم.

* هذا المقال يعبر عن وجهة نظر الكاتب ولا يمثل - بالضرورة - رأي الناشر.

^١ ينظر: حديث السكون لإبيكهارت تول ص ٢٩.

^٢ ينظر: المرجع السابق ص ٣٢.

^٣ ينظر: المرجع السابق ص ٨٤.